

## ٤ - الأمير خسرو

الشاعر الهندي الكبير

للسيد أبي النصر أحمد الحسيني الهندي

تممة

إن الشعر الراقى يشمل طموحاً غامضاً مائلاً إلى اللانهاى ؛ ومع هذا يتخذ لذلك من هذا العالم المادى وسيلة ، فهو يعطى صوتاً لصمت الفرائب التى تبرزها أسرار هذا العالم . وبناء عليه يكون بيت واحد من ذلك الشعر يمتد على قيادة روحانية وفكرة سامية مؤثرة فى النفس إلى قرار سحيق ، وهو ما لا تجده فى صفحات من النثر ، وذلك لأن من لوازم النبوغ الشعرى الراقى بصيرة نافذة من ظواهر الأشياء إلى صميمها . فيها يجمع الشاعر الفيلسوف المفلح الكامل حقيقة الأشياء الأصلية فى مجموع كامل جديد مؤثر غاية الأثر ، وبها يدرك ويرى من مطالع الحق والجمال فى هذا العالم ما لا يراه العاى . فاذا عبر عما يدركه ويراها برمز واصطلاحات مادية فهو لا ينفى بالذات ، بل ينوى بها تلك الحقيقة العليا الخالدة التى طالما طمحت إليها روحه ونفسه كلما أدرك مظاهر تلك الحقيقة المتنوعة ومناظرها المختلفة فى هذا العالم . وهذا الصنف من الشعر هو شعر فلسفى روحانى . ولقرينة خسرو فى هذه الناحية انتاج واسع لأنه كان صوفياً كبيراً . تذكر الأبيات الآتية منه قال :

جان زتن بردى ردرجانی هنوز دردها دادى ودرمانى هنوز  
آشكارا سينه أم بشكا فتى همجنان در سينه بنهانی هنوز  
ملك دل كردى خراب از تیغ ناز واندوين ويرانه سلطانى هنوز  
هر دو عالم قيمت خود كفته نرغ بالاكن كه ارزانى هنوز  
« أخذت روحى من جسمى ولازلت أنت فى روحى ،  
وأعطيتنى الآلام ولازلت أنت الشفاء »

« شققت صدرى على الاعلان ، ولازلت أنت مخفياً فيه  
كما كنت »

« خربت أقليم القلب بسيف الدلال ، ولازلت أنت  
السلطان فى هذا الخراب »

« قلت لمن نفسك العالمان . ارفع الثمن فانك لاتزال رخيصاً »  
لم يكن خسرو نابغة فى الشعر فقط ، بل كان أيضاً موسيقياً  
بارعاً ، فقد برع فى الموسيقى إلى أن نال لقب « نايك » وهو لقب  
قل أن ناله أحد غيره فيما بعد من المسلمين . فقد نقل عنه المؤرخ  
دولت شاه فى كتابه « تذكرة الشعراء » بيتين قال فيهما :

« أنا سيد الموسيقى كما أنا سيد الشعر . أنا كتبت ثلاثة

مجلدات فى الشعر<sup>(١)</sup>

لو كان ممكناً تحويل جميع ما ألفته من الألحان الموسيقية الى  
الكتابة لبلغ الى ثلاثة مجلدات أيضاً »

وحقاً قال أمير خسرو لأنه كان صاحب ذكاء حاد فوق المعتاد ،  
يملك ملكة اختراعية فى الشعر وفى الموسيقى فبلغ فيها ما لم  
يبلغه أحد . واختراعاته وتأليفه فى الألحان والنغمات لاتزال رائعة  
وشائعة بين الهنود إلى اليوم ، وهو الذى اخترع « سينار »  
الآلة الموسيقية التى تشبه تقريباً القيثارة العربية والتى لاتزال تهز  
الأقنعة بنغماتها الشجية فى محافل الهند وأفراحها الى اليوم طالبة  
الشهادة على كمال عبقرية مخترعها

قد ذكر صاحب « مائك سهال » ( وهو كتاب فى تاريخ  
الموسيقى صنعه فى عهد الامبراطور محي الدين أورنگ زيب  
عالم كبير وقد ترجم الى الفارسية باسم « راكى درين » ) كثيراً من  
النغم والألحان التى اخترعها أمير خسرو ، وذكر حكاية تدل على  
براعة خسرو فى الموسيقى وهى أن السلطان علاء الدين خلجى  
دعاه مرة « نايك جوبال » الموسيقى الوثنى الشهير حينئذ للاطلاع  
على كماله فى الفن ، وكان له ألف وستمائة تلميذ إذا أراد الخروج  
من بيته فخلوه على أكتافهم فلبى دعوة السلطان وأسمعه الألحان  
والنغمات ستة أيام متوالية ، وكان خسرو يسمها مخفياً . وفى  
اليوم السابع تصدى له خسرو وادعى أن جميع الألحان والنغم  
التي سمعها السلطان هو مخترعها وأعادها واحدة واحدة باتقان  
وإجادة أكثر من جوبال فتحير الرجل فى كمال خسرو  
وبراعته فى الفن

(١) لعله قال هذين البيتين حين بلغ جميع ما صنعه فى الشعر ثلاثة مجلدات  
لأن له عشرات من المجلدات فى الشعر . ونحن قد ذكرنا فى مقالنا الثانى ما  
يوجد منها الآن فى الهند وهو أكثر من ثلاثة . وأيضاً يستدل من قوله  
هذا أن كتابة الألحان الموسيقية بالرموز كما تكتب الآن لم تكن معلومة حينئذ

إن من أهم مبادئ الصوفية التحرز التام من جرح عواطف الناس ، وقتل أمانيتهم وبذل أقصى المجهود في قضاء حاجاتهم . وكان الشيخ نظام الدين قدس الله سره يقول : إنه لا عمل يساوي يوم القيامة إدخال السرور على قلوب الناس ، وفي حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : الخلق كلهم عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله . فكان خسرو من أكبر العاملين بهذا الحديث ، لذلك كان محبوباً عند الجميع . وله في ذلك حكايات كثيرة منها : أنه عند ما كان يرجع من السراي الملكية كل يوم إلى البيت يرجع راجلاً ، لأنه كان يحب البساطة والسداجة في العيش ، وهو أيضاً من لوازم الحياة الصوفية ، فيمر بدكان عجوز تسمى ششو فتقدم له كرسيًا وزجيلة ، وتطلب منه تشریفها ولو بدقيقة . فلما لا يجرح عواطفها كان يقعد عندها ولو دقيقة . ومرة قالت له : ياسيدي خسرو ! آلامك وبلاؤك على رأسي إنك تقول آلامنا من الغزل وتؤلف النغمات والألحان وتصنف الكتب . أما تؤلف شيئاً باسمي حتى يذكر اسمي أيضاً بفضلك ؟ فقال لها حاضر ياسيدي ششو وارجل نشيداً فيه اسمها . فغلد اسمها بذلك النشيد إلى اليوم

كان خسرو لين الجانب رقيق العواطف قطع جميع مدارج التصوف ومنازله ، فكان صاحب حزقة قلبية دائمة في حب الله . وقد قال فيه شيخه مولانا نظام الدين أولياء قدس سره : « في يوم القيامة كل واحد يفخر بشيء ، وتفخرى بحزقة هذا (ترك الله) . ولعل خسرو أشار إلى هذا حين قال البيت الآتي :

خسرو من كوش برای صواب

تاوشود « ترك خدای » خطاب

« يا خسرو اجتهد في الحق ليكون لك لقب « ترك الله »

اتبع البحث السير أبو النصر أحمد الحسيني الرهنري  
لمرطز : سقطت جملة من مقالة « الأمير خسرو » في  
ص ٤٦٣ السطر الرابع من العمود الأول . والصحيح كما يلي :  
فكان يتقن التركية لأنه كان من أصل تركي ، والعربية لأنها  
كانت لغة دينه ، والفارسية لأنها كانت لغة الحكومة الرسمية  
حينئذ . كذلك حصل خطأ في جملة وردت في ص ٥٠٨ في السطر  
الثامن من العمود الثاني وصوابها : ان الشمر هو ماله أثر  
أخلاق . . . . .

كانت براعة خسرو في الموسيقى أحرزت له شهرة واسعة لدى عامة الناس أيضاً وعلى الأخص السيدات والأولاد منهم ، إذ كانوا يحفظون نغماته وألحانه وأناشيده ، ويغنونها في أفراحهم ومحافلهم ولم يكن يكتب نشيداً إلا كان يخترع له لحناً خاصاً . وقد اخترع أصنافاً كثيرة من الألحان والأناشيد التي لم يكن لها وجود قبله ، وعلى الأخص باللغة الأردية أذكر منها « أنجيل » « مكرني » و « دوسخنة » و « دهكوسلا » الخ وكلاهما شائعة بين العامة إلى اليوم

كان خسرو يتجمل الشمر والأناشيد بداهة . ومن حكايات ارتجاله أنه عطش مرة فذهب إلى بئر كانت أربع سيدات يخرجن منها الماء فاستسقاهن . فمرفته واحدة منهن وقالت للأخريات : إن هذا خسرو : فسألته : هل أنت خسرو الذي يعني كل واحد أناشيده وألحانه ويسمع الغازله وأنجيله ومكرنيه ؟ فأجاب نعم . فقالت واحدة منهن : اعمل لنا نشيداً واستعمل فيه كلمة « كهير » ( أي الهلية ) وقالت الثانية : استعمل فيه كلمة « شرخا » ( أي المغزل ) أيضاً ، وقالت الثالثة : كلمة « دهول » ( أي الطبله ) أيضاً ، وقالت الرابعة : كلمة « كُتسا » ( أي الكلب ) أيضاً فقال لهن : اعطيني الماء أولاً فإني أموت عطشاً ، فقلن له : لا نمطيك الماء حتى تقول النشيد المشتمل على كلمائنا : فارتجله خسرو ؛ وهذه ترجمته ولكن لم يبق فيها جماله الأصلي :

إن الهلية طبخت بالاعتناء

واستعمل فيها خشب المغزل وقودا

ثم جاء الكلب وأكلها

وشفلكم ضرب الطبله

وأنا عطشان ، اعطيني الماء

كان الأمير خسرو صوفياً كبيراً ورعاً صالحاً تقياً . قال المؤرخ (ضياء الدين برني) وهو من أصدقائه في كتابه تاريخ فيروز شاهي : « إنه مع حصافته العقلية ، وذكاؤه الشاذ ، وعلمه الواسع كان صوفياً من الطبقة الأولى ، فكان يصوم تقريباً كل يوم ويصرف أكثر أوقاته في تلاوة القرآن وفي إقامة النوافل والفرائض من الصلاة ، وكان خليفة في الطريقة لسيدنا الشيخ الولي الصوفي مولانا « نظام الدين أولياء » قدس الله سره ، وإني لم أر خليفة يتقن اعتقاداً قوياً في شيخه مثله »